نـافـذة

فعل الخير..

في المجتمعات عموماً، وعلى اختلاف مستوياتها، كثيراً ما نجد فعل الخير قد غدا سلوكاً عاماً وخصوصاً في الأزمنة العصيبة التي تواجه تلك المجتمعات، كما في ظروف الحرب أو التضييق عليها اقتصادياً وتجارياً وسوى ذلك من أسباب تستدعي فعل الخير.

ومعروف أنه كلما كانت البيئة داخل هذا المجتمع أو ذاك ضيقة، تبدت ظاهرة فعل الخير أكثر مما كانت عليه كما الظواهر الاجتماعية الأخرى في الوقت عينه، وبشكل أوضح، وأحياناً كثيرة من منطلق رغبة فاعل الخير، بالحضور بين معارفه من أبناء بيئته وبالطريقة التي يختارها.

إن فعل الخير، من حيث المبدأ، فعل له بعده الإنساني مهما كان مصدره وكانت الغاية منه، بمعنى عدم ارتباطه بمكانة الفاعل وقدره في بيئته. فعل الخير هو، في نهاية المطاف، انتماء عفوي الإنسانية، الإنسان إلى ذاته بالدرجة الأولى. وإن كان هذا الاعتبار يندرج، في بعض الأوقات، تحت عنوان البحث عن مبرر ما للظهور أمام الغير بغض النظر عن قيمة هذا المبرر وتأثيره لدى الغير. وربما لهذا الاعتبار أيضاً، كثيراً ما يخطئ المرء في اختبار الطريقة الأنسب لتحقيق هدفه، وعندئذ قد يسيء إلى الهدف من وراء فعل الخير، مثلما قد يسيء إلى نفسه في الوقت ذاته.

وفي العديد من الأمثلة في التاريخ، نجد أحياناً ثمة من يسخر معظم ما يملك من إمكانيات مادية لإعانة من يحتاج إلى عطاء. وبدافع إنساني قد يوكل جمعية خيرية لتكون وسيلة التصرف بما يملك في حالات تفرض على الفرد أو حتى المجتمع واقعاً يجعلهما بحاجة إلى مثل هذا الفعل.

في المجتمعات العربية، تبدو هذه المسألة مرتبطة أكثر بالإيمان، لأنها ستكون مصدر راحة نفسية لصاحب العطاء، وكثيراً ما يساء إلى هذه المسألة بذاتها عندما يحاول المعطي أن يردد ما فعل بين معارفه، بسبب أو من دون سبب، فقط كي يصل إلى مرحلة وصفه بالكريم. وعندئذ تفقد هذه المسألة قيمتها المعنوية وخصوصاً عندما يشعر الآخذ بأنه قد أهين بسبب من حاجته إلى عون.

هذه المعادلة، مفيد أن يتخطاها من يسعى إلى اعتمادها سلوكاً يتصل بمبدأ المساعدة الإنسانية لا غير، وإذا ما تعامل معها صاحب العطاء، لجهة الفرد أو الجماعة في سياق المساهمة في بناء ما تهدم أو إشادة بناء، كما تقتضي متطلبات تبعات العدوان على بلد من البلدان من أعدائه، بمفهوم الخير المطلق، فإنه يكون قد مرّ بمرحلة الإيمان بصحة ما فعل وبنحو جيد لا بنحو ما ذكره الشاعر والروائي والمسرحي الفرنسي لوران دو لابوميل ١٧٢٨-١٧٧٣ الذي قال: لست أرى في كل مكان غير أشخاص يفعلون الخير، ولكنهم، أحياناً كثيرة، يفعلونه على نحو سيئ.

د. اسكندر لوقا

بعض الشكوى!!

غسان كامل ونوس

الشكوى سلوك معروف ومألوف، يمارسه الكائن الحيّ حين يحس بظلم من ظروف طبيعيّة، واصطناعيّة، أو كائنات أخرى قريبة وبعيدة؛ آملاً ممن يستمع إلى شكواه، أو ترفع إليه، أن يسعى إلى إزالة الأسباب التي أدت إلى الإحساس بضرورتها، وإعادة الأمور إلى نصابها، أو التخفيف من حدّتها وهيمنتها.

من دون أن نغفل ما تتضمنه في مفهومها من إحساس بالضعف والعجز عن القيام بما يمكن عملياً، أو القنوط من جدواها، وفيها قدر من القعود عن السعي إلى تغيير ما كان سبيلاً إلى خروجها، والاستسلام لنتائجها، مع الطلب من الآخرين لسلطتهم أو نفوذهم أو إمكانياتهم المشروعة وغير المشروعة، التدخل وتيسير الأمور. وما يؤكد هذا المعنى، ما يتردد على الألسن: «الشكوى لغير الله مذلة!».

ولا تتوقف الشكوى على أحد شاكياً أو مشتكى منه؛ فجميعنا يشتكي، في أوقات وحالات غير محدودة؛ كما يُشتكى منّا بنسب مختلفة، ومن أقرب الأقربين، ربّما! كما لا تتوقف عند حدّ، وبحقّ أو من دونه.

ومن الطبيعي أن تنقل شكواك إلى من تعرف أنه يعرف ما تعاني، أو يتفهم ما تلاقي، ويقدّر الأحوال، ولا تحتاج معه إلى كثير من الشرح والتعليل، وقد لا ينشغل، بقدر ما يهتم من لا تعرف، ويسعى إلى حل يرضيك.

ولا شكّ أن في كثير من الشكوى هدراً للطاقات والأوقات والمزايا والقيم والعواطف، وفيها ما يتطلّب صرفيّات، وممارسات بديلة، وانتظاراً وتسويفات وخيبات. وليست الشكوى إلى النفس أقلّ خسائر أو تبعات؛ ففيها إحباط، وانعدام ثقة بالآخرين، وشعور بالهزيمة والفشل..

كما قد تكون الشكوى من النفس الأمارة بالشهوات والدنايا والرذائل؛ كما قد تكون مغامرة أو طموحاً، أو داعية إلى قبض ما يشبه الريح، أو الحصولَ على لبن العصفور.

ومن الطبيعي أن تزداد الشكوى في الظروف غير العاديّة، وأوقات الأزمات التي تزداد فيها الأحداث المأساويّة، والوقائع الكارثيّة، ويزداد الفقد في الأنفس والأموال والثمرات، وتتفاقم الشرور بمختلف مظاهرها ومنعكساتها، والفساد بأشكاله وأنواعه، وتظهر حالات منه جديدة، تفرضها، أو تتيحها الأحوال الطارئة والمتبدّلة، التي يجري استغلالها بمختلف العناصر والوسائل والأساليب. وتتضاعف الحاجات الملحّة والمتطلّبات العصيّة، وتشحّ الموارد، وتتعكّر الآفاق، وتدخل في «السوق» أشياء كثيرة وعزيزة، لم تكن لتباع أو تُشترى في ظروف عاديّة. وقد تتحول الشكوى إلى بضاعة أو حرفة للتكسب، وفي هذا خطر، وقد يتحوّل المشتكى منه إلى شاك؛ فتضيع قضايا الشكاوى، وأسسها، وأسبابها، ويشوّش المشهد، ويُشوه. وقد يكون هذا مقصوداً ومطلوباً ومأجوراً..

لكن الأخطر أن يظهر بعض الشكوى ممّن لا يزالون على العهد، صادقين مع أنفسهم والقوانين والأخلاق، مع تجاهل ذلك أو التغافل عنه، أو للتخفيف عن معناه وازدرائه، وعدّه نشازاً ومعروفاً في غير وقته وأهله.

وإذا ما كان بعض الشكوى هذا يحدث في الأوقات العاديّة ممّن اعتادوا السلوك غير المنضبط، أو اتّباع الأساليب الشيطانيّة في الحصول على ما يريدون؛ لكنّه كان يبقى مستوراً، أو غير معمم؛ لأن صاحبه يخجل من إعلانه؛ فسيلاقي الصدّ والنفور لعدم منطقيّته وجدواه. لكنّه في مثل هذه الظروف التي نعيش، وحين تكون نسبة (سيادة) الغلط، وإشاعة الفوضى كبيرة، لا يتورع عديدون عن إشهار حرابهم في وجوه الأوفياء الأتقياء الصالحين، وليس من العاقّين الشاذّين الانتهازيّين؛ بل من أناس عاديّين وبسطاء، ومن دون خلفيات مشبوهة، وغايات قاتمة!!

مهرجان سينما الشباب والأفلام القصيرة الثاني

السينما السورية تجدد شبابها عبر مجموعة من العروض السينمائية المتنوعة

ديالا غنطوس

أطلقت المؤسسة العامة للسينما أمس مهرجان (سينما الشباب والأفلام القصيرة الثاني) في دار الأسد للثقافة والفنون– قاعة الدراما، فيلم الافتتاح (السينما السورية تجدد شبابها). سيناريو وإخراج عوض القدور. ويروي الفيلم تاريخ المؤسسة العامة للسينما، ماضياً وحاضراً وربما مستقبلا. متضمناً نشاط المؤسسة وكيف أسست للسينما وذاكرة وطن وشعب، مروراً بالسينما السورية من بداياتها وحتى هذا اليوم لتلقي الضوء على حلم الشباب في الدخول إلى عالمها، كنوع من تسليم الراية من جيل إلى جيل، إضافة لتسليط الضوء على أهم المحطات في تاريخ السينما السورية مروراً بالمهرجانات، المطبوعات والمشاركات في المهرجانات العربية والعالمية، فضلاً عن دور المؤسسة في هذه الأزمة تحديداً وكيف تقوم بصناعة السينما وما فائدة الأفلام التي تنتجها المؤسسة حالياً؟.

تضم المسابقة الرسمية ٢٦ فيلماً من مشروع دعم سينما الشباب حصراً. على الشكل التالي:

حكايات شابة وهموم وطن.. بطاقات شابة ومشروع شاب

١- آدم: سيناريو وإخراج وصال أبو حامد ويحكي قصة طفل من أب عراقي وأم سورية، يفقد والده ونصف جسده، حين يتعرض لانفجار في سوق شعبي، ثم ينتقل مع والدته إلى سورية، ويمر بحالة اكتئاب، وشعور بفقدان كبير روحياً وجسدياً، هو مجرد استعراض لحالة إنسانية، تخيلتها المخرجة وقدمتها من دون حلول.

٢- ألتيكو: سيناريو وإخراج: كندا يوسف ويتناول موضوع القمع الأسري والحرية غير الموجودة في الأسرة. يصور الأب المتسلط والديكتاتوري الذي ينفرد برأيه ويتدخل في كل صغيرة وكبيرة من أمور العائلة. طريقة عرض الفكرة جميلة وغريبة بآن واحد.

٣- أو سلبي: تأليف: سامر محمد إسماعيل، إخراج: أدهم نصر، الفيلم تدور أحداثه حول أب يحاول جاهداً الحصول على دم لابنته المريضة والموجودة في المشفى تحت عناية والدتها، فئة الدم التي تحتاجها الفتاة هي زمرة نادرة ومع ذلك فهي تحمل رمزية شديدة، فالمعروف عن «O سلبي» أنه معط عام، فهي زمرة الدم الكريمة التي تجود على الجميع ولا تبخل على أحد.

٤- حبر الآن: سيناريو وإخراج المهند حيدر، وعن الفيلم يقول المخرج « كثيراً ما تسرقنا مشاهد الدمار والشوارع المتفحمة. لكن روح الإنسان تعيش رغم ذلك وسط خراب الهواء والأشكال والوجوه محاولة إيجاد شريك لها يؤنس وجعها. وربما.. تكون الكلمة هي ذاك الشريك المنتظر. ولكن ماذا لو كانت هذه الروح خليط بشر وأزمنة وانتظار؟ هل سيكون للشعر طريق وسط ذلك؟

٥- حكاية يوم واحد: تأليف وإخراج ديما القائد، الفيلم وثائقي يتحدث عن أطفال مرض السرطان وأوضاعهم الصحية في ظل الحرب على سورية، وفي ظل العقوبات التي فرضت وأدت لفقدان عدد من الأدوية.

٦- خط عسكري: سيناريو وإخراج داني غنّام، يعتمد الفيلم على تصوير الوطن وآلامه ومأساته بتجسيد مأساة لعائلة فقيرة تعاني البرد والقهر في ظل انعدام الحاجات الأساسية للحياة، وفي إشارة ضمنية إيحائية نشهد دلالة على أم العائلة لتكون مصدراً للدفء والحب والرعاية، وذلك في إسقاط مشهدي أن الوطن الأم هو الملجأ والمأوى، كما يصور الفيلم رحلة عامل نظافة خلال عمله اليومي وعبوره لحاجز عسكري وما يتخلل ذلك من أحداث.

٧- خيطان: إخراج ولاء طرقجي، يتحدث الفيلم عن قصة رجل في الخمسين من عمره (شكيب)، كان يصنع دمى الماريونت، توقف عن ذلك، بسبب مروره بحادث جعله يفقد زوجته وابنته. يعيش في وحدته ولا يستقبل أحداً يطلب منه أحد أصدقائه أن يتدرب على صناعة الدمى، يرفض في البداية ولكنه يصر عليه ويقبل بذلك، تبدأ من هنا أحداث الفيلم لتأتي تلك الفتاة (نوار) وتعيد لشكيب حياته وخروجه من عزلته.

٨- روزنامة: تأليف رامي كوسا إخراج نادين تحسين بك، يتناول الفيلم معادلة الموت والدمار والقتل مقابل الحب والسلم، تلك الجدلية الأزلية التي تعرض لمفهومين متناقضين للحياة.

٩- سالي: سيناريو وإخراج: زهرة البودي يتناول الفيلم قصة حقيقية جرت مع إحدى العائلات النازحة من محافظة الرقة إلى محافظة اللاذقية في ظل الأزمة التي تعصف بسورية وذلك عن طريق شهادة الطفلة سالي البالغة من العمر عشر سنوات التي تروي حكايتها بكل براءة الطفولة، وتضيف إليها ما تعيشه اليوم وكيفية تجاوزها الأزمة عن طريق دعم الوسط المحيط لها في البيت والمدرسة والنشاطات الأهلية المتاحة.

١٠- صحوة وتر: سيناريو: تمارى المصري – غادة زغبور، إخراج غادة زغبور ويشدد الفيلم على أهمية الكنز الداخلي لدى كل منا، مؤكداً فكرة أن الجذور تبقى هي الأقوى والأشد صلابة، فتاريخنا وحضارتنا وآثارنا تشكل أعمدة من نور داخل وجدان كل منا فتمدنا بنسغ قوة وعنفوان يرفض الذل ويبع الضمير وإن كان الثمن حياتنا.

١١- صدى: سيناريو وإخراج: كريستين شحود ويحكي الفيلم عن شاب معنف في المنزل من رفاقه ووالده، نتيجة للأزمة الراهنة، ويتملكه هاجس القتل في مخيلته، يصور الفيلم الجانب الخير في حياة ذلك الشاب ممثلة بشخصية ليلى جارته.

١٢- عالم تاني: إخراج: أشرف أحمد، والرسالة التي يحملها الفيلم تقول: إن الإنسان بإمكانه إدخال السعادة إلى حياته بالتفاصيل البسيطة التي قد لا تعني شيئاً للآخرين بقدر ما تعنيه له.

١٣- غرفة لا أكثر: إخراج: علي المغوط،: تدور أحداث الفيلم حول فتاة منقبة تعاني ازدواجية اجتماعية نتيجة العادات والتقاليد.

١٤- فوضى الأنا: سيناريو لقمان سحلول، إخراج نشأت الهزام وهو فيلم روائي قصير يتناول حالة مرض نفسي لدى مريض يعاني الشيزوفرينيا «تعدد الشخصيات».

١٥- قهوة ومقبرة: تأليف د. رانية جبان، إخراج: نادين الهبل، ويتناول الفيلم حكاية تدور رحاها ضمن مقبرة مع الاعتماد على مشاهد (فلاش باك)، ومن خلاله نرصد حالات تعج بالمتناقضات لمن افتقدن أحبة لهن، حيث يتحول الفضاء المكاني إلى عالم خصب للبوح بما في ذلك تطهير الذات.

١٦- لحظة: سيناريو وإخراج: إيهاب الدهان، ويتحدث الفيلم عن حالة إنسانية لفتاة مصابة بإعاقة جسدية جعلتها ملازمة لكرسي متحرك. كما سنلاحظ بمسار الفيلم قصة حب رائعة بتفاصيل هادئة وراقية تعبر عن حالة حب مثالية.

١٧- لحظة دفا: سيناريو وإخراج: منتظر محمينو، ويتحدث عن لحظات في حياة طفلة مشردة تعيش لحظات دفء وحلم من خلال ولاعتها التي تبيعها.

١٨- لقاء آخر: سيناريو وإخراج: عبد الرحيم الشعيري، ويصور الفيلم الإخلاص بحالة انتظار رجل لزوجه المتوفاة والحياة الروتينية التي يعيشها بين كتابة رسالة لها وزيارتها في المقبرة، إلى أن يأتي اليوم الذي تزوره به وتأخذه معها في لقاء آخر.

١٩- ليلة دمشقية في زمن الحرب (سالسا): إخراج عمر بطرس، يتحدث عن الحب في زمن الحرب والصعوبة التي يعانيها الشباب لتكليل هذا الحب بالزواج.. من خلال حادثة تجري في ليلة دمشقية باردة وسط أحياء الشام القديمة.

٢٠- متصوف: سيناريو وإخراج: محمد موسى ويتحدث الفيلم عن زمن الحرب، فوسط فيض الدماء التي تراق على قارعة الطرقات كل يوم. تثقل القلوب والعقول ويكون الهرب بعيداً عن كل هذه الفوضى إلى البدائية البسيطة هو خيار بطل الفيلم.

٢١- من أجل دمشق: إخراج: محمد الحوزاني، تدور أحداث الفيلم حول شاب يحب دمشق ويخاف على أي شيء فيها من الاندثار بسبب الأزمة في سورية وما آل إليه الوضع فيها فيسعى إلى اقتناء كاميرا من أجل توثيق اللحظات الجميلة في دمشق.

٢٢- مهملات: سيناريو وإخراج فاضل المحيثاوي، فكرة الفيلم غريبة ومبتكرة، تدور قصته داخل محل ألبسة، بين ماليكانين لعرض الثياب على واجهة المحل هما شاب وفتاة، تربطهما علاقة عاطفية ويتبادلان المشاعر.

٢٣- وتر: سيناريو وإخراج: زياد القاضي، يميل الفيلم نحو الرمزية، يحاكي بعض المشاكل في حياة المرأة فنعيش أربع مراحل مع عازفة كمان تعرضت لانكسارات كثيرة بسبب مفاهيم مجتمع ذكوري. حيث تعود بذاكرتها لمراحل مرت بحياتها. إلا أنها تجعل من هذه الانكسارات دافعاً لتنطلق من جديد.

٢٤- وطن بين قوسين: إخراج: علي منصور، يحكي الفيلم حكاية عائلة سورية تختلف نظرة أفرادها حول فكرة الرحيل والسفر... وعن التمسك والبقاء رغم كل ما يجري.

٢٥- الحاجز: تأليف وإخراج سندس برهوم، ويُلخّص الفيلم نتائج ومُفرزات الحرب وكيفية تورّطنا نحن كأشخاص بكل ما تحمله هذه الحرب من معانٍ وكيف تصل إلى أذهان الأطفال وتُتَرجَم فيها وآلية التأقلم مع مفاهيمها السلبية.

٢٦- بسمة: إخراج وردة جورج رزق، يحكي عن راقصة شابة تصاب بمرض عضال، كاد يفقدها الأمل بالحياة، ولكن إرادة الحياة تبقى أقوى، تساندها طفلة صغيرة في مقاومتها لهذا المرض....

فكيف تكون النتيجة، وما مسارات الحياة التي سترسمها لنفسها.....؟

كما يضم المهرجان بين طياته العديد من التظاهرات السينمائية المهمة ومنها تظاهرة (تحية إلى أصدقاء سورية الكبار. روسيا، إيران، الصين.)

لتتضمن العروض السينمائية التالية: أندريه روبلوف، المتعبون من الشمس، حلاق سيبيريا، الشمس، المرآة، الجرذ، موقف السيارات، الميم كالأم، تحت أشجار الزيتون، خط النهاية، مدينة الموت والحياة، أوقات سعيدة، قصة كي جو، العيش، قطار زويو.

إضافة إلى تظاهرة (ركن السينما العالمية). وتضم مجموعة الأفلام التالية: الوعد، المنطقة ٥١، السير بين القبور، ولد لأجل السباق، إنقاذ الجدول، القرنان، فرصة واحدة، أجزاء من البليون، باتريك، التمدد، أشعة الشمس فوق ليث، عازف الكمان الشيطاني، اختفاء إلينانور ريغبي (هو). اختفاء إلينانور ريغبي (هي)، القرين، الأغنية، الرجل الغريب، الشخص الثالث، عواطف متحدة، سبات شتوي.

إلى جانب ما سبق يعرض المهرجان عدداً من الأفلام القصيرة من إنتاجات المؤسسة العامة للسينما وهي:

- طابة أمل. ميار النوري.
- الموسيقار. عوض القدرو.
- فقط إنسان. ريم عبد العزيز.
- أطويل طريقنا أم يطول. ريمون بطرس.
- صمت الألوان. كوثر معراوي.
- أنغام الخط الشامي. ريمون بطرس.

إضافة إلى مجموعة من المشاركات العربية بأفلام قصيرة على هامش المهرجان كالتالي:

- أيقونة الفرح، نضال سعد الدين قوشحة.
- حنين. أحمد طلحت حمدي.
- نور من الشرق. مروة قرعوني.
- ياسمين. حسام وهب.
- بقعة طين. رولا بريجاوي.
- مطر. رواد باره.
- ظل الجليل. محمد موسى.

أما لجنة تحكيم الأفلام المشاركة في المسابقة الرسمية فتتألف من الأعضاء:

- عبد اللطيف عبد الحميد رئيساً.
- محمد عبد العزيز. عضواً.
- سعد القاسم. عضواً.
- ميسون أبو أسعد عضواً.
- رجاء مخلوف. عضواً.

كما سيشهد المهرجان تكريم عدد من الفنانين المخضرمين والعاملين في الحقل السينمائي الذين أثروا ببصمات واضحة في نهوض السينما السورية وهم:

- الفنان رفيق سبيعي.
- الفنانة نادين خوري.
- الفنانة فاديا خطاب.
- مدير التصوير منير جباوي.
- المخرج غسان شميط.
- مدير الإنتاج. جورج بشارة.
- المونتير. محمد علي ليلان.

يذكر أن المهرجان يستمر إلى ٢٠١٥/١٢/١٣ ليكون حفل الاختتام تمام الساعة السادسة مساءً بتوزيع الجوائز على الفائزين في المسابقة، وعرض لفيلم «النار والياسمين». سيناريو وإخراج. محمود عبد الواحد. وهو فيلم وثائقي يحكي عن نشاط وزارة الثقافة خلال سنوات هذه الحرب الكونية على سورية، وهو يظهر كيف أن وزارة الثقافة، بكل مؤسساتها وهيئاتها ومديرياتها، ظلت تعمل بلا كلل خلال هذه الحرب، بل إنها طورت من أدواتها وارتقت بنشاطاتها.

الهوى إلا القليل.. كيف انتهى العمر؟!

نجاح إبراهيم

سؤالان يستولدهما قلمي في آخر هذه السّطور:

لماذا تجدبُ الدنيا إلى هذا الحدّ حين اقتراب الموت؟

وكيف يتنصّل الشعر من رفيق عند مفترق الطرق، رغم أنهما عاشَا عمراً جميلاً؟.

الجميلُ؟

ما أقساه ذلك اليوم اللندني!

الذي اكتسى نهاره بالضباب والغصّة، رغم أن آذار في فضاءات أخرى يكون متألقاً ومشعاً، وباعثاً على الخصب!

في هذا القحط، أمسك نزار قباني بقلمه، وكتب آخر قصائده، لتكون قبل موته بأيام، مُعبّراً عن الخراب الذي يُحدق به، فلا شيء بقيَ لأن يقوله فالكلام برأيه قد تعب من الكلام، وتلك الشفتان اللتان لطالما نطقتا بالكلمات الجميلة، والغزل النبيل، قد غدتا من خشب، ووجه المرأة الذي لاح في هذا القفر رآه مُرهَقاً، والنهد! «ما عادت تدقُّ له الطبولُ!».

لا شيء حوله سوى الثلج، يحيط بذئب جريح، كما قرأنا في الروايات، هذا الثلج رآه يسقط في الحديقة، ويسقط من المشاعر، وفي الكؤوس، ومن الأصابع، وفي النبيذ، وفي السرير، فالتفت الشاعر حوله يبحث عن بديل، فلم يجد سوى القصيدة لعلها البديل! ولكن لا شيء فيها حياً، فقد يبست شرايينها، وانتهى العمرُ الجميل، فالشعر الذي لطالما كان منقذه هاهو يغادره، ولم يتبق أي بحر من بحوره، وكذلك الحبّ غادره، فلا قمرٌ يعزفُ قصص حبه، ولا وتر يغنيها، لقد انطفأ كلّ شيء، وخلت الساحة من الفرسان، وانقرضت الخيولُ، وحصان الحبّ الذي جمح به ذات يوم وارتفع كما الموج، كثورٍ هائجٍ، ماذا تبقى منه إن غاب الصهيل؟

وينظر إلى يده، علّه يجد شيئاً، عبثاً يحاولُ أن يجد عصافير الطفولة والحبيبات اللواتي اختبأن فيها، والذاكرة التي استقطرها، والأقلام التي حضنتها الأصابع، لاشيء بقي، الأصابع، لاشيء بقي، لقد أقفرت الأوراق والشواطئ..... وكذلك الحقول.

من عادة الحمام أن يهدل على نوافذه، ثمّة غياب له وللريش والهديل، وكلّ الرسائل القديمة، التي كان ينقلها، تناثرت أوراقها والأشواق التي فيها، والكلمات الخضراء تبعثرت في كلّ الزوايا

«فبكى الغمامُ على رسائلنا / كما بكت السنابل والجداول والسهول».

ومن بين كلّ هذا الجدب، تطلّ عينا من أحبّ، كأنهما تاريخان من كحلٍ حجازيٍّ، مخلوطتين بحزن رماديّ، ومن قلق نسائيّ، وهذا ما يدفعه لأن يفرّ إلى الأمام وفي الأمام قيود وسلاسل وقفرٌ.

لم يبق شيء في يد نزار، فالبطولات التي خاضها انتهت، والعنتريات انتهت، ومعارك البلاغة والإعراب والصرف انتهت، ولم يعد شيء يعرفه، حتى ياسمين الشام الذي واكب برائحته تاريخ قصائده قد غاب عنه، ها هو نزار يبكيه ويفتقده، والأنهار والصفصاف والخدّ الأسيل، لا شيء...

عيناه في هذا اليوم اللندني البارد، تحدّقان في الفراغ، وفي يده، وفي أحاسيسه، فيغمره الذهول، لهذا رغب في السماح من المرأة التي لن تجد فيه ما يدفعها إليه، فهاهو قد جلس قبالتها على الأريكة مُحبطاً، ومبعثراً.

رغب في السماح منها، لأنه نسي بلاغته، ولم يبق من لغة الهوى إلا القليل.

سؤالان يستولدهما قلمي في آخر هذه السّطور:

لماذا تجدبُ الدنيا إلى هذا الحدّ حين اقتراب الموت؟

وكيف يتنصّل الشعر من رفيق عند مفترق الطرق، رغم أنهما عاشاً عمراً جميلاً؟.

هذه مادة بعنوان (كيف انتهى العمر الجميل؟).

يبدو أن العنوان ناقص: كيف انتهى العمر... أما الجميل فموجود..